سيأتي يوم نغار فيه من موتانا. و سيأتي يوم نقول فيه ليتهم كانوا معنا"

يقول أجدادنا: سيأتي يوم نغار فيه من موتانا. و سيأتي يوم نقول فيه ليتهم كانوا معنا"

الوقت الذي نغار فيه من الموتى ... قالها لي شاب شيشاني و هو لا يريد أن يصدقها، و أضاف :"اعتقد أن الحين الذين تحدث عنه أجدادنا قد أزف"

التاريخ 25 كانون الأول 2001

في الأيام الأخيرة لعام 2001 قمنا بزيارة مخيم فينيرباهتشة في اسطنبول حيث يقطن اللاجئون الشيشانيون بعد أن شردتهم الحرب بعيدا عن أوطانهم و ديارهم امرأة تحاول أن تجمع في حوض غسيل مياه الأمطار التي تقطر من السقف فهي على الأقل تكفي لتلبية احتياجات النظافة. تدخل من غرفة إلى أخرى محتضنة طفلها الصغير و تتحرك بعجلة حتى لا تتبلل

إن إطلاق اسم غرفة على ذلك المكان يعتبر "بذخا" في الحقيقة و من الأصح أن نسميها حجيرات فمساحتها تبلغ نحو 7 ـ 8 م 2 و هي مأوى به حمام... حياة بأكملها تمضى في جنح الليل المظلم في هذا المكان؛ في إحدى الزوايا هناك سرير، و في زاوية أخرى شئ أشبه ما يكون بالمطبخ، و باب وراءه حمام، و نافذة تعصف بها الرياح. أما الباب فهو أقصر من اللزوم بثلاثة أصابع و هناك أيضا بساط رقيق يغطي الأرضية البيتونية الباردة كالجليد يجلس عليها أب و أم لا تستطيع أن تشرح لطفلها "سبب وجودهم في هذا السجن". إذا ما سألت عن الكهرباء فحدث و لا جرح أما الماء فتأتي ساعتين في اليوم

أصغر اللاجئين

طفلة رضيعة، كم هي هادئة و جميلة. قبل ستة أيام فقط فتحت عيناها على العالم في هذا المكان العجيب. اسمها فاطمة. لم تلتجئ، بل ولدت لاجئة. من يعلم إن كانت ستعود إلى وطنها الذي لم تره أبدا أم لا. بالإضافة إلى فاطمة هناك 30 طفلا لم تتجاوز أعمارهم الثلاثة أعوام يعيشون في هذا المكان المزري و يرعاهم 47 رجلا و امرأة

و ماذا بعد؟

إحدى المواد الأساسية لغذاء الأطفال هنا هي الفقر جميعهم مصاب بالأمراض بشكل أو بآخر. لولا ثلاثة أو خمسة أشخاص من أهل الخير لشهد هذا المكان جنازة كل يوم لا قدَّر الله

هناك مشهد يعزي النفس: بعض الأطفال بالزي المدرسي عائدين من المدرسة. بمساعدة الولاية يتمكن اثنان و أربعون طفل من متابعة تعليمهم في المدارس المجاورة كما أن إحدى غرف المخيم قد تم تحويلها إلى صف لإعطاء دروس باللغة التركية و الرياضيات و هي تحوي بضعة كراسي و لوح للكتابة ... داخلها بارد و مظلم نوعا ما. أما في الليل

فليس هناك ضوء لدى زيارته لهذا المخيم في عيد الفطر فوجئ رئيس بلدية اسطنبول علي مفتي غورتونا بوفاة أحد اللاجئين في نفس يوم زيارته بسبب سوء الظروف المعاشية التي يعاني منها المخيم. كان اسمه علي باكاييف و يبلغ السادسة و الأربعين من العمر. نُقل إلى المشفى حيث كان يعاني من آلام فظيعة في الرأس و قيء. لكنه توفي حتى قبل تشخيص مرضه. لم يكن يملك النقود لتصوير نفسه بالأشعة. لدى خروجه من المشفى وضعت هوية أحد الشيشانيين الأتراك لضمان دفع نفقات العلاج. لم يعش باكاييف بعد خروجه من المشفى سوى عشرة أيام. أما الهوية فلا تزال في المشفى، فصاحبها ليست لديه النقود لاستردادها، و لا الشجاعة الكافية للذهاب إلى هناك

إن مخيم فينيرباهتشة عبارة عن منشأة للاستجمام صيفا عائدة لخطوط السكة الحديدية التركية يقع على شاطئ البحر و مهمل منذ مدة طويلة. و يخشى اللاجئون إخراجهم منه. فعلى ما يبدو فإن هذا المكان الذي يأويهم برد الشتاء القارص سوف يؤجر. و الشيشانيون يشكلون عائقا أمام ذلك لا بأس فعددهم ليس بالكثير، مجرد 185 شخص فقط لماذا يستكثرون عليهم هذه الخرابة؟ ليتنا نعلم